« علينـا ألا نتطلع إلى السقف فقـــط! »

بقلم: د . مشيرة عنيزات

لقد قيـل فـي الـروم بأنهم أسـرع الناس إفاقة بعد المصائـب، وأن الحضـارات التي انتصـرت في القـدم والرسالات الخالـدة، لـم تنتصر بالمال والثروة وحسـب، ولكن انتصرت بقادتها ومفكريها.

فمن يدّع أن الثروة تأتي مرة واحدة، وأن الأغنيـاء هم أكثـر راحة وأكثر سعـادة وأن من ولد فقيرًا، عاش فقيرًا؛ مثله كمثل من اشتغل بناقة البسوس!

نعلم أن يومنا قبل كورونا لم يكن يوما عاديّا، لم نكن بشعـر بعظمة العمـل، كان الخروج مـن البيت والذهاب للعمل نعمـة، حتى ولو صاحبها التأفف والتعـب، وأيقينا بعد كورونا أن يومنـا فـي الحجر، أيضا ليس يوما عاديًا. نجلـس في المساء نندب حظوظنا ونتلوى من قلة الحيلة والفراغ، حجتنـا أن لا شيء لننجزه. نتمنى أن تعـود بنا الأيام إلى ما قبل كورونا.

تفشت السلبية ولم نعـد ننتظر إلا عدد المصابيـن وعـدد الضحايـا بسبب فايروس كورونا. مـا أرصده بعينـي، أننا «لم تتضـرع لننجو، ولا أفقنا من غفوتنا»: ساكنون بلا حراك، ننتظر ما ستحدثه الجائحة فينا، فقط نشكو الحيلة وقلة المال والعمل.

الحجـر، لا يعني أن نقف مكتوفي الأيدي، ومكفهري الوجوه، ونسلم أمورنـا ونتركها للوقت والزمن، فلا بد أن نفكر جليًا بتطويـر أنفسنا وتغيير أسلوب حياتنا.

وما أكثر النعـم التي لـم ندرك قيمتهـا إلا فـي زمـن الكورونا! جمـال هذه النعم يتجلى في قول طـلال أبوغزاله، وهو من يذكرنا مـرارا وتكـرارا، ويحدثنا بلغـة الأب الناصح المرشد، ولا يبتغي من نصحـه إلا مصلحتنا ورضـا الله «أريـد أن أذكركم أنـه حتـى فـي الركـود الاقتصـادي توجد نعمـة، وفي أشـد الأزمات توجد نعم. ولكن أقول ان أمامنا قصة حقيقية ليست مشكلة انهيار بنوك ولا مشكلة أزمة مال. أمامنا قصة تحوّل تاريخي في كل ما يتعلق بالبشرية من اقتصاد وأسلوب حياة ومعيشة».

لنستغل هذه النعمـة ونجعل كل يوم في الحجر هو يوما جديدا! إن المشكلة ليست في الموارد وليست بالإمكـانات وليست بالأزمـات أيضًا.

إنها الرغبة بالتغيير، الرغبـة بأن تجد لنفسك مكانا وسط الزحام، وأن تخرج من دياجيـر الظلام وتضع خطة لتطوير ذاتك، وتستغل هذا الحجر لتكون منتجا.

فهو من يقـول أيضا، «إذا أردت أن يزداد راتبك، فيجـب أن يزداد إنتاجك».

إن ما يهلك الثمر هو المطر الغزير المتدفق، كذلك الترقب وقلة الحيلة لا تجلب إلا الهلاك، كن منتجا لا تجعل يومك يمر دون رذاذ، لأن الرذاذ هو من يفيد الزرع عندما يتسلل إليه برفق.

أختم قولي مقتبسة مما قاله طلال أبوغـزاله في استغـلال الأزمـة وتحويلها إلى نعمـة: «في الوقت الذي طُلب إلينا أن نحجـر أنفسنا، علينا ألا نتطلع إلى السقف فقـط! بـل أن نعمـل ونحن في الحَجْـر، لنستمر في بناء مسيرتنا».